هذا المجلس الرابع في شرح متن الاصول الستة للامام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى يشرحه فضيلة الشيخ ابو عبد الاعلى خالد بن محمد بن عثمان حفظه الله تعالى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: الاصل الرابع:"بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء،وبيان من تشبه بهم وليس منهم،وقد بين الله تعالى هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله تعالى :"يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم" إلى قوله قبل ذكر إبراهيم عليه السلام :"يا بني اسرائيل"، ويزيده وضوحا ماصرحت به السنة في هذا من الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الاشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات،وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من انكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

شرح الشيخ :

بسم الله و الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله واصحابه ومن اتبع هداه أما بعد:

فهذا الاصل الرابع من الأصول الستة التي أراد مصنفها الامام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى أن يجعلها فارقة بين أهل الحق وأهل الباطل، وهذا الذي اراده إنما مأخوذ من الشرع، ليست ارادة شخصية بل ما وافق الامر الشرعي، لأن الله عز وجل جعل ما ذكر في هذه الأصول من علامات أهل الحق التي يفارقون بها أهل الباطل ولذلك اختار المصنف هذه الاصول لانها الأكثر مخالفة التي يخالفها اكثر الناس،وخلط فيها أذكياء العالم كما قال(في مقدمته).

وهذا الاصل هو المتعلق بالعلم والعلماء، وبلا شك العلم والاقتداء بالعلماء هذا من أعظم الاصول التي تميز المتبعين للحق، حيث إن ديننا بني على العلم ما بني على الجهل، وليس كما يصور أهل الكفر وأهل الضلال أن اتباع الشرع جهالة، وهذا كفر مبين، وأهل الكفر يصورون للمغفلين أن اتباع الدين خاصة الاسلام أنه تاخر وتخلف عن ركب الحضارة واتباع لاساطير الاولين، كما كان يقول الكفار قديما، ولذلك كان الرد الدامغ على هؤلاء بأن تبين لهم النصوص الشرعية التي بينت أهمية العلم وقدر العلماء، وان كان يعلمون ذلك ولكنهم يكابرون!! ويكفي أن أول أمر جاء في الكتاب المنزل في أول الوحي كان:"اقرأ "،هذا أول أمر، وبعض المسلمين على النقيض ياخذون هذا الامر من باب الدعوة إلى العلوم المادية الدنيوية فقط دون الاعتزام بالاحكام الشرعية ، وهذا نقيض ذلك فبعض المسلمين يحتجون بالنصوص الشرعية التي وردت في فضل العلم والعلماء على أنها تدل على فضل العلوم المادية دون الشرعية وهذا خلط ووضع للنصوص في غير موضعها.

فالنصوص التي جاء فيها تفضيل العلم والعلماء إنما المقصود بها أمور الشريعة ابتداء ،وأما علماء الفيزياء والكيمياء والهندسة والطب وغير ذلك هم بلا شك لهم نصيب من المدح على قدر إيمانهم وعلى قدر صلاح نيتهم في طلب هذه العلوم، هذا إن كانو مسلمين، ولكن لا يمدحون مدحا مطلقا، لذا ندرك الخطأ الذي انتشر عند العامة خاصة في مصر تبعا لبرنامج في التلفاز المصري ويقدمه رجل كان رأسا في المعتزلة، وهو مصطفى محمود صاحب فكر الاعتزال الذي سماه بالعلم والايمان!! فخلط في هذا العوام أن العلم هو علم البحث الذي يؤخذ بالآلات والعتد الحديثة كي يصل في نهاية هذا البحث الى إثبات وجود الله فخلط في معنى العلم وفي معنى الإيمان، فليس هذا العلم هو الممدوح وليس هذا هو الايمان المقصود شرعا، فخلط الرجل في مسمى العلم الممدوح ومسمى الإيمان، حيث إن العلم الممدوح شرعا هو علم الشريعة من الكتاب والسنة، علوم الشريعة والتي تندرج تحتها علم العقيدة والتوحيد علم التفسير، علم الحديث، الفقه، وما يستتبعها من اصول الحديث و اصول الفقه، وما شابه ذلك من مفاتيح العلوم فهذه العلوم الممدوحة واهلها الممدوحون شرعا، إن كانو وافقوا أصول أهل الحق في تفسير هذه العلوم، وأما الإيمان فليس المقصود به أن تؤمن بوجود الرب، إذ إن هذا الرجل في هذا البرنامج كان قصارى ما يريد أن يثبته للمشاهدين أو المستمعين له اثبات وجود الله، وذلك باثبات أنه سبحانه هو الذي خلق وأبدع هذه المخلوقات التي لا نظير لها فانتهى الى توحيد الربوبية!! الذي يقر به أبو جهل وأبو لهب ومن على شاكلتهم، وهو في هذا وافق المتصوفة مع ما عنده من نزعة الاعتزال والتصوف كذلك. وأما الإيمان الممدوح شرعا هو أن تؤمن بأن هذا الرب الذي اقررت بربوبيته مستحق للعبادة وحده، أن تعبده بأسمائه وصفاته التي بينها في كتابه، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا هو العلم وهؤلاءهم العلماء، وبلا شك ليس العالم هو الحافظ فقط، وليس العالم كذلك هو الذي عنده كثرة مسائل وهذا مما يختلط عند البعض.

العلم الممدوح ابتداء هو العلم الذي يورث الخشية من الله، ولذلك كان يقول الامام مالك رحمه الله:"إنما العلم الخشية"،وهذا معنى قوله تعالى:"إنما يخشى الله من عباده العلماء"،هذاهو العالم حقا، هذا هو العالم الرباني، فخشية الله معناها: انك تكون على تقوى من الله. والتقوى هي فعل المأمور وترك المحظور، مع الاتباع والاخلاص، أن تعبد الله على بصيرة هذا هو العلم،

العلم قال الله قال رسوله. 	قال الصحابة لا كلف فيه

ليس العلم نصبك للخلاف سفاهة بين قول الرسول وبين رأي فقيه

أن تجعل قول شيخك أو قول الفقيه في مقابل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا سفاهة!! ولذلك العلم ليس دعوة يدعيها صاحبها فقط أو تدعى له وإنما العلم يظهر أثره على صاحبه في معاملاته، وفي دعوته، وكذلك في نفسه ابتداء، فإذا وجدت رجلا يدعي العلم ثم إذ هو يخالف العلم في سمته، حليق اللحية يلبس الملابس الافرنجية، ويفتخر بذلك!! ، ويحتقر الهدي الظاهر من السنة، ليس هذا العلم الصحيح، أو يعتبر هذه الامور قشورا ليست من السنة، هذا بلا شك ليس بالعالم الممدوح. وعلى النقيض حتى وإن التزم بالهدي الظاهر ولكنه إذ به يدعو إلى الشرك لا ينفعه الهدي الظاهر، وهذا ليس علما. أو يلتزم بالهدي الظاهر وهو يدعوا إلى تكفير المسلمين واستحلال دمائهم هذا لا يمدح ولا تقع عليه التزكية، ولو سمى نفسه بالسلفي فلا تنفعه

التسمية، يقول عن نفسه فلان ابن فلان الأثري، أو السلفي وهو يكفر المسلمين، والله ليس متبعا للأثر، اي ليس متبعا لآثار السلف، وليس سلفيا، وليس على منهج السلف، لأنه على منهج الخوارج.

ولذلك كان العالم الرباني كالعملة النادرة في زمن الغربة، يعني كما يقال: "كالشعرة البيضاء في الثور الاسود". فاهل الحق قلة، أي في آخر الزمان، كلما ازدادت الغربة، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الاسلام غريبا،وسيعود غريبا كما بدأ"، ولهذا كان قبض العلم بقبض العلماء، وكلما ازداد طول الزمان ازداد الشر، لحديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"ما من زمان إلا والذي بعده شر منه"، ومن زيادة الشر قلة العلماء الربانيين، العلماء الممدوحين شرعا، وهذه القلة تكون بقبض من سبقهم وبعدم ظهور من يخلفهم إلا قليلا، كلما قبض عالم قل من يخلفه أحد، إلا قليلا إلى أن يأتي آخر الزمان فيقبض الكل، لا يبقى عالم على وجه الأرض، حينما يرفع العلم هذا أوان رفع العلم، "وإنما لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الصدور، إنما يقبضه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما رفع العلم، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"، هذا في آخر الزمان، حينما يرفع القرآن كذلك، فالقرآن يرفع من الأرض ولا تبقى منه آية في الصدور.

فلذلك من أراد العلم الصحيح فعليه أن يحقق التقوى في نفسه أولا ثم يسلك مسلك من سبقه في تحصيل هذا العلم، بالتفقه والحرص والدراسة على أيدي العلماء ولا يغتر بنفسه، وكما قلت: أن العالم هو الذي يتفقه في الكتاب والسنة على طريق سلف الأمة، وهناك من يحفظ الاحاديث ويحفظ القرآن ولكنه لا يتفقه التفقه الصحيح، لا يفقه ما حفظ كالخوارج

تعلمون أن الخوارج كما اخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تلاوة للقران في الظاهر، يعني يحسنون التلاوة بأصوات رطبة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:"يقرؤون القرآن رطبا". أي رطبة به ألسنتهم، رطبة بالقرآن. ولكنه في نهاية الأمر لا يجاوز حناجرهم.

فكان يبلغنا أن فلانا يحفظ الكتب الستة، طيب لكن أين علمه الذي استفاده من هذه الكتب الستة؟!! هذا لاشك أمر ممدوح أن يحفظ من هذه الكتب الستة، بلا شك هذا أمر ممدوح ولكنه ليس ممدوحا مطلقا، قد يحفظ كتب السنة ولكنه لا يفقه شيئافيها، أو لا يعمل بما فيها من عقائد واحكام.

كذلك. يقال فلان يحفظ القرآن بالقراءات العشر هذا طيب بلا شك، وهذا من الفروض الكفائية التي ليس على كل طالب علم تعلمها إن وجد من يقوم بها، ولكن هل هذا ممدوح مطلقا؟ لا، إن كان يعمل بكتاب الله ،ويتفقه في كتاب الله على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والسلف الصالح، مع هذا الحرص، هذا يمدح. لكن كونه يحفظ القرآن بالقراءات العشر، والكتب الستة من السنة ثم لا يعمل بذلك أو يعمل بذلك على خلاف الفقه الصحيح، أو لا يفقه كل هذا، هذا لا يفيد وهذه حجة عليه، يكون حجة عليه يوم القيامة ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال في حديث معاوية قال:"من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"، اي الفقه الصحيح. وهذه هي الخيرية، وقال في حديث عثمان رضي الله عنه:"خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، وهذا هو التعليم المقصود به ابتداء: الفقه، فقه كتاب الله، أي كيف يفهم كتاب الله؟ تفسير كتاب الله، ولذلك كان ابن عباس رضي الله عنهما على صغر سنه كان ترجمان القرآن،

لأن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا دعى له؟ قال :"اللهم علمه الكتاب"، هل معنى علمه الكتاب هو أن يحفظه فقط بالقراءات العشر؟ لا ،"اللهم علمه الكتاب" هذا دعاء النبي لابن عباس، أي أن يفقه كتاب الله، ولذلك كان أحسن من يفسر كتاب الله من الصحابة هو ابن عباس، ولذلك سمي بترجمان القران. وكان تلامذته نحو مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير وغيرهما، كانوا من الذين عليهم المعول من التابعين في تفسير كتاب الله، فأقوالهم هي المشهورة المروية بالأسانيد في كتب التفاسير، كتفسير ابن جرير وتفسير ابن ابي حاتم ، وابن المنذر ونحو ذلك. فكان هم وتلامذتهم هذا تبعا لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم:" اللهم علمه الكتاب". هذا هو العلم

فكان ابن عباس هو الذي ناظر الخوارج، وهذه مفارقة، من الذي ناظر الخوارج في زمن علي ؟ هو ابن عباس. كما اخرج النسائي بسند صحيح في خصائص علي: مناظرة ابن عباس للخوارج في زمن علي. ناظرهم بفقه كتاب الله لم يناظرهم في حفظ كتاب الله بالقراءات العشر؟! لا. هم يحفظون كتاب الله باسمه اي من ناحية الحفظ والتلاوة ويتلونه باحسن الاصوات. ولكن ما الفرق؟ هو انهم لما جادلوه أو ناظروه في فقه بعض الآيات التي تأولوها على غير معناها حاججهم ابن عباس بالفقه الصحيح الذي تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا هو الفقه هذا هو العلم، الذي يقوم به الدين. وكما قلت وأؤكد لا يعني هذا أننا نقلل من شأن الحفظ والتلاوة، لا. كلاهما ممدوح ولكن الحفظ أو التلاوة من غير فقه يكون حجة على صاحبه، أو إن كان بفقه سقيم أو بفقه على طريقة أهل البدع فهو بلا شك يذم على ذلك، لذلك قال مجاهد بن جبر في تفسير قوله تعالى: "والذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون"، قال:" حق تلاوته"، العمل به، وهذا هو فقه مجاهد تلميذ ابن عباس. هؤلاء هم العلماء.

وهناك علماء في زماننا ومن قبل أي لما اشتدت الغربة وكثرت البدع صاروا في أعين الناس هم الجهال، كما قال المصنف هنا قال:"ثم صار هذا أي هذا العلم اغرب الاشياء وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات". لان العالم الفقيه عند عامة الناس هو الذي يبتدع لهم في أمر دينهم، هو الذي يفتيهم بالخروج في المظاهرات، وسفك الدماء وانتهاك الحرمات. هذا هو العالم، فهؤلاء السفهاء الذين كانوا يخرجون في هذه الفتن الاخيرة ،كانوا يعتبرون هم العلماء والذين كانوا يفتونهم بخلاف اهوائهم من كبار العلماء حقا هم الجهال عندهم، أو يعتبرونهم أهل ضلال فانقلبت الموازين.

ولهذا ذكر المصنف لما في سورة البقرة في قصة بني اسرائيل في قوله تعالى :"يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون (40) وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون(41)"، هذه الوصية أو هذا البيان لبني اسرائيل هو وإن كان موجها لبني اسرائيل نعم، ولكنه كذلك موجه لهذه الامة: "واذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي"، أي: العهد الشرعي، "واياي فارهبون"، الرهبة لا تكون إلا بالعلم الصحيح. بل اختلفوا لما جاءهم العلم بغيا بينهم كما ذكر في ايات اخرى، لما جاءهم العلم اختلفوا، يعني هل أن العلم هو سبب الاختلاف؟! إذ إن البعض يظن أن العلم هو سبب الخلاف!!

لا، الله عز وجل يقول:" بغيا بينهم"، أي سبب الاختلاف كان البغي، رغم أنه كان عندهم العلم ،وهذا هو سبب الفتن ومنشرها ذلك أن بعص هؤلاء من الذين يفتون الناس في الفتن عندهم علم. نعم، يعلمون الحق، ولكنهم بغوا بالفتوى بالباطل على حسب أهوائهم، يعني رجل مثل محمد حسان، هذا يعلم بعض الأدلة من الكتاب والسنة، نعم يعلمها، ولذلك يفتي بها الجهلة، عندما يتلو عليهم الاحاديث والآيات بصوت منمق ويظنونه العلم!! نعم، هو قد يكون على علم ببعض المسائل، نعم يعلمها، ولكن أخفى الحق، كتمه، نعم،وهذا حاله يكتم كثيرا من الحق الذي يعلمه! يعلم حقيقة حزب الاخوان المسلمين ويعلم كيف نشؤوا ويعلم تاريخهم الأسود مع الروافض ومع اليهود يعلم ذلك جيدا، ولكنه اخفى بعضه وأعرض عن بعض، وقد يكون طبع على قلبه بسبب اتباعه للهوى، وهذا الذي حدث. فهو في الظاهر طالب علم، لأنه يذكر الآيات والاحاديث ولكن في حقيقة الأمر هو إيش؟ هو باع أهل الحق لما أساء إلى صورهم، صور العلماء الربانيين حقا بأنهم غلاة وأنهم علماء سلطان وأنه هو ومن معه من دعاة حزب الاخوان المسلمين، هم العلماء الذين يفتون الناس بإيش؟ بأخوة الروافض وأخوة النصارى، ويفتون الناس بالديمقراطية مثل خالد اسلام، ويفتون الناس بالمظاهرات والاعتصامات التي تدمر بلاد الاسلام، هؤلاء هم العلماء عندهم!! فانقلبت الموازين بسبب البغي،نعم.

وهؤلاء ما اختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم، لما جاءهم العلم بغوا بهذا العلم، فضلوا وحدثت الفتن، هذا هو منشأ الفتن، من أمثال هؤلاء. ولذلك علينا أن نتمسك بهذا الاصل، وأن ندرك عظم قدر العلم الصحيح وعظم قدر العلماء، أي العلماء حقا، فهذا الذي كما قال المصنف :"ويزيده وضوحا ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد".
فالنبي صلى الله عليه وسلم مدح الذي هم على الاثر، اي على آثاره وآثار أصحابه،كما في حديث أبي هريرة قال: لما سئل أي الناس خير؟قال:"أنا ومن معي". قيل له: ثم من؟ قال:" الذين هم على الأثر". قيل له: ثم من؟ وكأنه رفضهم، رفض من بقي، أي رفض من ليس على الأثر، وكيف يكون هؤلاء على الاثر؟! وهم يحاربون النصوص الصحيحة من الاثر، النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم صراحة لما سئل: أفلا ننابذهم؟ أي: أفلا نخرج على هؤلاء الحكام بالسيف ونقاتلهم بالسيف؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة".

إن هؤلاء محرفون للكلم كحال بني اسرائيل، فلذلك ذكرهم المصنف بحال بني اسرائيل مع علمهم بالكتاب، فشابههم هؤلاء، ولذلك يتحقق فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم "، وفي الحديث الآخر :"لتأخذن بأخذ القرون من قبلكم"، هذا حالهم، شابهوا أهل الكتاب في مخالفة الكتاب رغم العلم، أي رغم علمهم

لذلك كان هؤلاء اضل سبيلا وكانوا لهم نصيب من غضب الله عليهم. فلذلك أهل البدع والاهواء أشبه باليهود في هذا الجانب، لأنهم كانوا يكتمون الحق وهم يعلمون، فلهم نصيب من غضب الله. وأما الذين وقعوا في الضلالات عن جهل فهم بلا شك على شر كذلك فشابهوا النصارى، أي أهل البدع الذين يعبدون الله على جهل شابهوا النصارى في عبادة الله على جهل، ولكن الأخطر منهم الذين عرفوا العلم وبغوا وخالفوهم، هؤلاء أشد ضلالا وأكثر إثما عند الله عزوجل.

نسأل الله عز وجل ان يفقهنا وإياكم في ديننا وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.